تمهيد:

قوائم رؤوس الموضوعات كائن حى، ينمو ويتطور، ينضج ويكبر، وحتى لا يشيخ ويموت فهى فى حاجة دائمة إلى رعاية كاملة ومراجعة مستديمة لرؤوس الموضوعات بالحذف والإضافة والتعديل، تمامًا كما يفعل البستانى فى بستانه بزراعة فسائل جديدة واستبعاد الشجيرات الجافة والميتة وتقليم وتشذيب الأغصان الشاردة فضلاً عن إمدادها بالمياه والمخصبات حتى تبدو الحديقة فى أزهى صورها.

ومن هنا كانت أهمية وضرورة تتابع إصدارات وطبعات قوائم رؤوس الموضوعات. فقد شهد العقد الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الحادى والعشرين تطورات وأحداث سياسية كبيرة غيرت وجه خريطة العالم السياسية نتج عنها إفراز كيانات ودول مستقلة جديدة ونشير هنا على وجه الخصوص إلى تفكك الاتحاد السوفييتى إلى عدة دول مستقلة. وكذلك تطورت العلوم والمعارف تطوراً كبيراً وظهرت تكنولوجيات جديدة وخاصة فى مجال علوم الفضاء والحاسبات الإلكترونية وبرامجها وبرمجتها. كل هذا يحتم تعديل بعض رؤوس الموضوعات أو إعادة صياغتها أو إضافة رؤوس جديدة ومراجعة الرؤوس القديمة واستبعاد غير الصالح منها حتى تواكب هذا التطور الهائل فى المعارف البشرية وتساير ما قد ينشأ من مفاهيم جديدة فى الإنتاج الفكرى العربى.

لهذا توفرت خلال العقدين الأخيرين على تحليل ومتابعة ودراسة قوائم رؤوس الموضوعات باذلاً كل الجهد فى محاولة بناء قائمة رؤوس موضوعات علمية مقننة تصلح للاستخدام فى المكتبات ومراكز المعلومات على المستويات كافة – فعلى المستوى الأول قمت بإعداد قائمة رؤوس موضوعات معيارية تصلح للاستخدام فى المكتبات العامة والمدرسية يدور عدد رؤوسها حول عشرة آلاف رأس موضوع، وعلى المستوى الأكبر قمت بإعداد قائمة رؤوس موضوعات تصلح للاستخدام فى المكتبات القومية والجامعية والمتخصصة صدرت تحت عنوان «القائمة الكبرى لرؤوس الموضوعات العربية» زادت رؤوسها على الثمانين ألف رأس موضوع، وذلك حتى أوفر لزملائى المكتبيين والمصنفين أداة هامة تساعدهم على أداء عملهم بسهولة ويسر.

وإمعاناً فى إتمام الفائدة زودت هذه القائمة بأرقام تصنيف ديوى العشرى الواردة فى طبعته الثالثة عشر الموجزة (والتى تصدر ترجمتها وتعديلاتها خلال هذا العام تحت عنوان : الوسيط

فى التصنيف العشرى لكاتب هذه السطور) تشبهًا بقائمة سيرز وقائمة الكونجرس وذلك لتسهيل أداء عمل المصنفين وخاصة المبتدئين منهم فى الحصول على أرقام التصنيف. وتسير هذه القائمة على المسار نفسه للقائمة الكبرى وتشايعها فى الأسس والقواعد العامة سواء من حيث أشكال رؤوس الموضوعات أو أنواع الحواشى والتفريعات أو نظام الإحالات.

واستكمالاً للفائدة لم أتوقف عند حدود تقديم سلسلة من قوائم رؤوس الموضوعات تصلح للاستخدام فى المكتبات المدرسية والعامة والقومية والجامعية السابق الإشارة إليها فى هذا التمهيد، ولكنى أصدرت كتاباً آخر بعنوان: «بناء واستخدام قوائم رؤوس الموضوعات العربية والأجنبية» يتناول الجوانب التطبيقية لعملية بناء واستخدام رؤوس الموضوعات والتعريف بقواعد اختيارها وكيفية صياغتها وأنواع إحالاتها وتفريعاتها لأستكمل بهذا الكتاب الجوانب التطبيقية العملية التى تغطى الفهرسة الموضوعية التى بدأتها بكتاب «تطبيقات وتدريبات على التصنيف العملى» الذى صدر عن المكتبة الأكاديمية والذى يغطى الجوانب التطبيقية لعملية التصنيف، وهكذا وبصدور هذا الكتاب نستكمل الجزء الثانى للفهرسة الموضوعية وهو رؤوس الموضوعات؛ وقد حرصت فى هذا الكتاب على تناول عملية بناء واستخدام رؤوس الموضوعات فى القوائم الأجنبية بالتفصيل جنبًا إلى جنب مع بناء واستخدام رؤوس الموضوعات العربية، لأن جل الكتب التى تناولت هذا الموضوع كانت تتناول الجوانب العربية بتوسع بينما كانت تتناول القوائم الأجنبية باختصار وعلى استحياء كما لو أن المفهرس الموضوعى العربى لن يكون معرضاً للقيام بعمليات الفهرسة الموضوعية للكتب الأجنبية التى قد توجد فى مكتبته، مع العلم بأن الموضوعات الأجنبية فى بعض المكتبات الجامعية والمكتبات المتخصصة فى عالمنا العربى قد تفوق المجموعات العربية.

ويحضرنى فى هذا الخصوص ذكرى لقاء عزيز، فقد التقيت فى إحدى ليالى مدينة جدة الجميلة وأستاذى الدكتور عبد الوهاب أبو النور «رحمة الله عليه» فى منزله العامر حيث تزامن عملنا سوياً هناك، ودار بيننا حوار وجدل مثير حول رغبتى فى تزويد قائمة رؤوس الموضوعات بأرقام تصنيف ديوى العشرى. وقد لفت سيادته نظرى إلى أهمية وخطورة هذه الخطوة؛ والدكتور عبد الوهاب أبو النور غنى عن التعريف فهو من هو فى عالم التصنيف وعلومه لم ينبهنى إلى أهمية وخطورة هذه الخطوة لدفعى للتقاعس عنها، ولكنه أشفق علىّ منها

وليبصرنى بعواقبه الخطأ فى أرقام التصنيف. وأنه إذا أخطأ المصنف فى أرقام التصنيف فى مكتبة ما، فإن الخطأ سيكون محصوراً داخل هذه المكتبة، أما فى حالتنا هذه فإن الخطأ سيطال كل المكتبات التى تستخدم هذه القائمة. وكان ردى أن الخطأ وارد فى أرقام التصنيف بشكل أو بآخر لاختلاف وجهات النظر بين مصنف وآخر، بل اختلاف وجهة النظر بين المصنف نفسه باختلاف الوقت الذى يقوم فيه بعملية التصنيف، وقلت لسيادته أننى تعلمت على يديه أن تنميط الخطأ يعتبر صواباً، بمعنى أنه إذا أعطى رقم تصنيف بشكل خاطىء لموضوع ما، واستمر هذا الخطأ على الدوام، فإن جميع كتب هذا الموضوع ستتجمع فى مكان واحد، وهو أحد الأهداف الأساسية لخطط التصنيف (تجميع الكتب ذات الموضوع الواحد فى مكان واحد على رفوف المكتبة). وأنهيت الحوار مع سيادته بقولى إن التمام والكمال شىء من المحال وأن هذه الأرقام استشارية وغير ملزمة فمن شاء أخذ بها ومن شاء تركها، كما أن الخطأ وارد بشكل أو بآخر فإن أخطأت فإنى أعتذر عنه مقدمًا ولى أجر المحاولة، أما إذا أصبت فلى أجران، أجر الإصابة وأجر المحاولة. فهنأنى سيادته على هذه الخطوة وباركها وتمنى لى التوفيق.

وهى الآن بين يديك زميلى المكتبى لتتقبلها وتقول رأيك فيها فدعنى أسمع منك

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل.

محمد عوض العايدى